كتاب
الشِّـــعـَـار في العقائد

وهو تلخيص لكتاب الاعتقاد والهداية

للإمام البيهقي

رحمه الله تعالى

كتبه
الأستاذ العالم الفاضل المحقق
سعيد فودة
حفظه الله تعالى

وليس لنا الى غير الله تعالى حاجة ولا مذهب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين، أما بعد :

فهذا كتاب يشتمل على بيان مايجب على المكلف اعتقاده، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز.

باب
أول ما يجب على العاقل البالغ
معرفته والإقرار به

يجب معرفة الله تعالى بصفاته، ويجب الاعتراف به والشهادة له بما عرفه. وتشترط الشهادة لحقن الدم، والمعرفة والإقرار لصحة الإيمان، والوفاة على الإيمان حتى يستحق دخول الجنان بوعد الله تعالى.

باب
ذكر بعض ما يستدل به على حدوث العالم
وأن محدثه ومدبره إله قديم لا شريك له
ولا شبيه

منه النظر في العالم من حيث تنوعه وانسجامه وتغيره، فكون العالم محلاً للحوادث يدل على الحدوث، والمحدَثُ لا يستغني عن صانع يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، ونقتدي في هذا بإبراهيم عليه السلام.

وأيضا اجتماع المختلفات المتنافرات دليل على وجود جامع قهرها على الاجتماع. والإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبَّرَةً، وعلى أحوالٍ شتى مصرَّفةً، وهو يعلم من ذاته أنه لا يمكنه إحداث الكمال لها في الحال، فيعلم أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه، وأنَّ له صانعا.

وقد سلك بعض العلماء طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحسِّ لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعا إليه النبيُّ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

باب
أسماء الله وصفاته عزَّت أسماؤه
وجلَّ ثناؤه

لله تعالى تسعة وتسعون اسماً، مَن أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي غيرها، وإنما المراد أن مَن أحصى مِن أسماء الله عزَّ وجلَّ تسعة وتسعين اسما دخل الجنة، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له في خلقه، ولا شريك له في ملكه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

باب
بيان صفة الذات وصفة الفعل

لله عزَّ اسمه أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته وصفاته أوصافه، وهي على قسمين أحدهما صفات ذات والآخر صفات فعل

فصفات الذات ما يستحقه فيما لم يزل ولا يزال، وهو على قسمين

أحدهما : عقليّ وهو ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به، وهو على قسمين

– أحدهما ما يدلُّ خبر المخبر به عنه، ووصف الواصف له به على ذاته. وهنا فالاسم هو المسمَّى. نحو شيء، ذات، موجود، قديم.

– الثاني ما يدل خبر المخبر به عنه ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به. نحو حيّ عالم قادر مريد سميع بصير متكلم باق، فدلت هذه الأوصاف على صفات زائدة على ذاته قائمة به كحياته وعلمه وقدرته إلخ... والاسم هنا صفة قائمة بالمسمى، لا يقال إنها هي المسمى.

وأما السمعي فهو ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضا صفات قائمة بذاته ولا يجوز تكييفها، فالوجه له صفة وليست بصورة، واليدان له صفتان وليستا بجارحتين، والعين له صفة وليست بحدقة، وطريق إثباتها له صفات ذاتُ ورودِ خبر الصادق به.

وأما صفات فعله فهي تسميات مشتقة من أفعاله ورد السمع بها مستحقة له فيما لا يزال دون الأزل،لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل،وهو كوصف الواصف له بأنه خالق رازق محيي، فالتسمية في هذا القسم إن كانت من الله تعالى فهي صفة قائمة بذاته وهو كلامه، لا يقال انها المسمى ولا غير المسمى، وإن كانت التسمية من المخلوق فهي فيها غير المسمى.

ومن أصحابنا من ذهب الى أن جميع أسمائه لذاته الذي له صفات الذات وصفات الفعل، فعلى هذا؛ الاسم والمسمى في الجميع واحد والله أعلم.وعلى هذه الطريقة يدل كلام المتقدمين من أصحابنا.

والصفات التي يستحقها الباري عزَّ وجلَّ أكثر من أن تحصى، وهي منثورة في الكتاب والسنة.

والأصل أن كلَّ صفة كمالٍ للإلـه تثبت، وينفى عنه كلُّ نقص.

والله تعالى حيٌّ وله حياة يباين بها صفة من ليس بحي. وقادر وله قدرة يباين بها صفة من ليس بقادر. وعالم وله علم يباين به صفة من ليس بعالم، وعلمه أحاط بالمعلومات كلها، كما عمَّتْ قدرته المقدورات كلها. وسميع بصير وله سمع وبصر يدرك بأحدهما جميع المسموعات وبالآخر جميع المبصرات. ومتكلم وله كلام يباين به صفة الأخرس والساكت. وباق وله بقاء ومعنى وصفه بذلك أنه واجب الوجود فيما لا يزال.

وله صفة الوجه واليدين والعين، وعرفنا بالشرع والعقل أنها ليس بصورة ولا جارحة ولا حدقة، بل هي صفات ذات، أثبتناها بالكتاب والسنة بلا تشبيه.

باب
في ذكر صفة الفعل

كان الله ولم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، وكل ذلك أغيار مخلوقة، ومصدر جميع المخلوقات من ماء ونور وظلمة وريح وتراب وغيرها منه تعالى أي من خلقه واختراعه. فهو خالق كل شيء ، خلَقَ الماء أولا أو الماء وما شاء من خلقه، لا عن أصل ولا عن مثال سابق، ثم جعله أصلا لما خلق بعده، فهو المبدع وهو الباري لا إله غيره، ولا خالق سواه.

باب
القول في القرآن

القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ، وكلام الله صفة من صفات ذاته، ولا يجوز أن يكون من صفات ذاته مخلوقا ولا محدثا ولا حادثا.

ولو كان القرآن مخلوقا لكان الله سبحانه وتعالى قائلا له : كن. والقرآن قوله ويستحيل أن يكون قوله مقولا له، لأن هذا يوجب قولا ثانيا والقول في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالأول، وهذا يفضي الى ما لا نهاية له من التسلسل، وهو فاسد.

وإذا فسد أن يكون القرآن مخلوقا ووجب أن يكون القول أمرا أزليا متعلقا بالمكوّن فيما لا يزال، كما أن الأمر متعلق بصلاة غدٍ، وغدٌ غير موجود.ومتعلق بمن يخلق من المكلفين إلى يوم القيامة إلا أن تعليقه بهم على الشرط الذي يصح فيما بعد.

كذلك قوله في التكوين.

كما أن علم الله تعالىأزلي متعلق بالمعلومات عند حدوثها، وسمعه أزلي متعلق بإدراك المسموعات عند ظهورها، وبصره تعالى أزلي متعلق بإدراك المرئيات عند وجودها، من غير حدوث معنى فيه تعالى عن أن يكون محلا للحوادث، وأن يكون شيء من صفات ذاته محدثا.

وكلام الله تعالى موجود فيما لم يزل، موجود فيما لا يزال، وبإسماعه كلامَه مَنْ شاء من ملائكته ورسله وعباده متى شاء، صار كلامه مسموعا له بلا كيف، والمسموع كلامه الذي لم يزل ولا يزال موصوفا به ، كلامه لا يشبه كلام المخلوقين كما لا يشبه سائرُ أوصافه أوصافَ المخلوقين، فما نسمعه من القرآن كلام الله، وان الله كلَّم به عباده بأن أرسل به الرسول.

وأن كلام الآدميين وإن كان يكون بالمواجهة في الحكم فكلام الله تعالى عباده قد يكون بالرسالة والوحي كما جاء به الكتاب، ويسمى ذلك كلاما وتكليما.

والقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلوٌّ بالألسنة، فالقرآن مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة محفوظ في صدورنا على الحقيقة متلوٌّ بألسنتنا على الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة.

باب
القول في الاستواء

المذهب الصحيح في جميع ذلك الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف.

وإلى هذا ذهب المتقدمون ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا: الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقيف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غيرجائز.

فالاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ودرج العلماء على هذا في مسألة المجيء والإتيان والنزول أيضا، وحديث النزول لم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا على قسمين:

- منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله، ووكل علمه الى الله، ونفى الكيفية والتشبيه عنه.
- ومنهم من قبله وآمن به، وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد.

وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستوٍ على عرشه كما أخبر، بلا كيف بلا أين بائن من جميع خلقه، وأنَّ إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأنَّ نزوله ليس بنُقلّةٍ، وأنَّ نفسه ليس بجسم، وأنَّ وجهه ليس بصورة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف.

باب
القول في إثبات رؤية الله
عزَّ وجلَّ في الآخرة

الرؤية بالأبصار جائزة، وأبصار المؤمنين لا تدركه في الدنيا دون الآخرة، ولا تدركه أبصار الكفار مطلقا.

فالله تعالى يُرى ولا يُدرَك كما يُعْلَم ولا يحاط به علماً. والله تعالى قادرٌ على أن يري نفسَه عبادَهُ المؤمنين. وفي الجنة يُرِي الله تعالى نفسَه للمؤمنين بعدَ أنْ يرفع عن أعينهم الحجاب، فيرونه بلا كيف ولا جهة.

باب
القول في الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرّها.

والعمل واجب على الجميع، فكل واحد ميسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر به قبل وجوده، ويمر بالعمل الذي هو أمارة له ليكون راجيا خائفا.

فإذا تداوى الإنسان أو استرقى أو اتقى، فبتقدير الله وتيسيره أمكنه ذلك، ولو لم يُقدرْهُ لم يتيسر منه فعل ذلك.

باب
القول في خلق الأفعال

الله خالق كلِّ شيء من الأعيان والأفعال من الخير والشر، ولا خالق سواه.

فالمعنى المؤثر في وجود الأفعال كلها، من ضحك وبكاء وزرع وقتل وغير هذا، بعد عدمها هو إيجاده وخلقه، وإنما وُجِدَتْ من عباده مباشرةُ تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثها خالقنا عزَّ وجلَّ على ما أراد.

فهي من الله سبحانه خلقٌ، على معنى أنه هو الذي اخترعها بقدرته القديمة، وهي من عباده كَسْبٌ، على معنى تعلق قدرة حادثة بمباشرتهم التي هي من أكسابهم، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصدَ مكتسبها، يدلُّ على أن مُوقِعَا أوقعها على ما أراد غير مكتسبها، وهو الله ربنا خلقنا وخلق أفعالنا لا شريك له في شيء من خلقه تبارك الله ربُّ العالمين.

ففعل القادر القديم خلقٌ، وفعل القادر المحدث كسبٌ، فتعالى القديم عن الكسب وجلَّ، وصغُرَ المحدَثُ عن الخلق وذلَّ.

وأما عدم إضافة الشرِّ إلى الله تعالى فإنما هو أدب في الثناء على الله عزَّ وجلَّ، والمدح له بأن يضافَ إليه محاسن الأمور دون مساويها، والله تعالى لم يخلقه شرًّا، ولكن اكتساب العبد له وتلبسه به هو الشر، ولا يقصد به ادخال شيء في قدرته ونفي ضده عنه.

وأما علم الله تعالى بأهل الجنة وأهل النار في الأزل، فهو على معنى تدبير الربوبية، وان ذلك لا يبطل تكليفهم بحق العبودية، إلا أنه أخبر أنَّ كلاً من الخلق ميسر لما دبر له في الغيب، فيسوقه العمل إلى ما كتب له من سعادة أو شقاوة، فيثاب ويعاقب على سبيل المجازاة، فمعنى العمل التعريض للثواب والعقاب، وبه وقعت الحجة، وعليه دارت المعاملة.

والله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فالله يحول بين المؤمن وبين الكفر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان،ولا يُضِلُّ إلا من قضى له أنَّه صالِ الحجيم.

باب
القول في وقوع أفعال العبد
بمشيئة الله عزَّ وجلَّ

إنا لا نشاء شيئا إلا أن يكون الله قد شاء.وإنه لا يؤمن إلا مَنْ سبق له من الله السعادة في الذكر الأول،ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول.

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فالعبد لا يملك كسبا ينفعه أو يضره إلا بمشيئة الله وقدرته، قال الشافعي:

فما شئتَ كان وإن لم أشأِ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكـنْ
خلقتَ العبادَ على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمسِنْ
على ذا مننتَ وهذا خذلـتَ ... وهذا أعنتَ وذا لم تُعِـنْ
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حَسَـنْ

باب
القول في الأطفال أنهم يولدون
على فطرة الإسلام

كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، فإن كانا مسلمين فمسلم.

فكل واحد هو على الفطرة التي فطر الله الخلق عليها الخلق حتى يفصح بالقول فيختار أحد القولين. الإيمان أو الكفر.

فلا حكم للأطفال في أنفسهم إنما الحكم لهم بآبائهم فمن كان آباؤه يوم يولدون فهم بحالهم إما مؤمن فعلى إيمانه وإما كافر فعلى كفره. وأما حكمهم في الآخرة فالله أعلم بما كانواعاملين وهم في الآخرة يمتحنون أولاد المؤمنين والمشركين.

وقال بعض العلماء: أطفال المؤمنين يلحقون معهم في الجنة إكراما لآبائهم، وأما أولاد الكفار فقال بعضهم هم في النار، والبعض أنهم خُدَّام أهل الجنة.

ولكن ينبغي أن يقال في الطريقة الثانية في أولاد المسلمين أنهم يمتحنون، فمن لم يواف أحد أبويه يوم القيامة مؤمنا، يجعل امتحانه في الآخرة حيث لم يجد متبعا يلحق به في الجنة.

باب
القول في الآجال والأرزاق

الأجل عبارة عن الوقت الذي ينقطع فيه فعل الحياة، كما أن أجل الدين عبارة عن الوقت الذي يحل فيه الدين. والمقتول والميت أجلهما عند خروج روحهما.

باب
القول في الإيمان

المؤمنون هم الذين جمعوا الأعمال التي بعضها في القلب وبعضها باللسان وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال.

والإيمان يزداد بالأعمال، فالأعمال من جوامع الإيمان. والإيمان ينقص لأنه قَبِلَ الزيادةَ فيقبل النقصان، وذهب العلماء من أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها، وأنها على ثلاثة أقسام

- قسم يكفر بتركه وهو اعتقاده وما يجب اعتقاده والاقرار بما اعتقده
- وقسم يفسق بتركه أو يعصي ولا يكفر به إذا لم يجحده، وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم.
- وقسم يكون بتركه مخطئا للأفضل غير فاسق ولا كافر وهو ما يكون من العبادات تطوعا.

واختلفوا في كيفية تسمية جميع ذلك إيمانا

فمنهم من قال جميع ذلك إيمان بالله تبارك وتعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، لأن الإيمان في اللغة هو التصديق وكل طاعة تصديق.

ومنهم من قال الاعتقاد دون الإقرار، إيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبسائر الطاعات إيمان لله ورسوله. فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه واتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، وكذلك التصديق بالنبي والتصديق له.

وتسمى الشرائع إيمانا، والإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد إذا كان الإسلام حقيقة وليس بمعنى الاستسلام.

والاستثناء في الإيمان جائز إذا كان بمعنى الاشفاق على الإيمان في ثاني الحال، فأهل السنة لا يقطعون بكونهم مؤمنين عند الله، أي في ثاني الحال، لأن الله يعلم الغيب فهو عالم بما يصير إليه حال العبد ثم يموت عليه ونحن لا نعلمه، فنكل الأمر فيما لا نعلمه إلى عالمه خوفا من سوءِ العاقبة، ونستثني على هذا المعنى ونرجو من الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

باب
القول في مرتكبي الكبائر

إن الله لا يغفر الشرك، ويغفر ما دونه لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه .

وفعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان إلا الكفر. ويجوز الاستغفار لفاعل الكبائر إلا الكافر. وعلى هذا لا يخلد مؤمنٌ في النار وإن دخلها.

والشفاعة ثابتة للنبي ولغيره.

باب
الإيمان بما أخبر عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ملائكة الله وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره والحساب والميزان والجنة والنار وأنهما مخلوقتان معدتان لأهلهما، وبما أخبر عنه في حوضه وفي أشراط الساعة قبل قيامها.

ونعتقد فيما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ولم ينسخ رسمه في حياته أنه بقي في أمته محفوظا لم تجرِ عليه زيادة ولا نقصان كما وعد الله عز وجل.

والإيمان بالميزان واجب، ثم كيفية الوزن فقد قيل؛ توضع صحف الحسنات في إحدى كفتي الميزان وصحف السيئات في الكفة الأخرى ثم توزن، وقد يجوز أن يحدث الله تعالى أجساما مقدرة بعدد الحسنات والسيئات بحيث يتميز أحدهما من الأخرى ثم توزن كما توزن الأجسام.

وما ورد به خبر الصادق نؤمن به ونحمله على وجه يصح وبالله التوفيق.

ومن علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام.

باب
الإيمان بعذاب القبر
نعوذ بالله من عذاب القبر

الكفار يعنف عليهم في نزع أرواحهم ويخبرون بما هم قادمون عليه من العذاب الهون، خلاف المؤمنين الذين يؤمَّنون ويبشرون بالجنة التي كانوا يوعدون.

ويُسأل الميت عن ربه وعن محمد صلى الله عليه وسلم.

ويشاهد المؤمن مقعده في الجنة والكافر مقعده من دار العذاب.

ومنكر ونكير فتَّانا القبر.

فالروح تعاد في الجسد، وإعادة الروح في جزءِ واحد وسؤال جزء واحد وتعذيب جزء واحد مما يجوز في العقل، وليس في تعرُّفِ الأجزاء استحالة ما وردت به الأخبار في عذاب القبر وهو كما شاء الله ولمن شاء.

قال الشافعي:إن مشيئة العباد هي الى الله تعالى ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، وإن أعمال الناس خلق من الله فعل للعباد، وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق ومساءلة أهل القبور حق، والبعث والحساب والجنة والنار، وغير ذلك مما جاءت به السنن وظهرت على ألسِنَةِ العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين حقٌّ.

باب
الاعتصام بالسنة واجتناب البدعة

قال الله عزَّ وجلَّ (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)، قال الشافعي: يعني إن اختلفتم في شيء فردوه إلى الله والرسول.

يعني والله أعلم إلى ما قال الله والرسول، قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ ". وقال: "مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ".

وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغلب على أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونعلم الناس السنن.

وإذا لزم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سنَّ وكان لزومه فرضا باقيا ولا سبيل إلى اتباع سنته إلا بعد معرفتها ولا سبيل لنا إلى معرفتها إلا بقبول خبر الصادق عنه لزم قبوله ليمكننا متابعته، ولذلك أمر بتعليمها والدعاء إليها.

الخلاف المذموم ما خولف فيه كتابٌ أو سنةٌ صحيحة أو إجماع أو ما في معنى واحد من هؤلاء، وذلك كخلاف مَن خالف أهل السنة فيما أشرنا إليه في هذا الكتاب فقد قال الله تعالى(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءها البينات).

وقد جاء الكتاب والسنة ثم إجماع الصحابة بإثبات ما أثبتناه من صفات الله عز وجل، ورؤيته وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك. فمن نفاه واختلف فيه كان ذلك اختلافا بعد مجيء البينة، ورد من رد فيه من السنة الثابتة جهالة منه بلزومه اتباع ما بلغه منه وتأويل مَن تأول ماورد فيه من الكتاب غير سائغ في الشريعة. فلا وجه لترك الظاهر إلا بمثله أو ما هو أقوى منه والله يعصمنا من ذلك برحمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقت اليهود على إحدى وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

ويشبه أن يكون المراد الخلاف الذي مرَّ بيانه لما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم، قال:كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة. وفي رواية: إلا واحدة، الإسلام وجماعتهم. وفي رواية إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي.

وإنما اجتمع أصحابه على مسائل الأصول، فإنه لم يُرْوَ عن واحد منهم خلاف ما أشرنا إليه في هذا الكتاب، فأما مسائل الفروع فما ليس فيه نص كتاب ولا نص سنة فقد اجتمعوا على بعضه واختلفوا في بعضه، فما اجتمعوا عليه ليس لأحد مخالفتهم فيه، وما اختلفوا فيه فصاحب الشرع هو الذي سوَّغ لهم هذا النوع من الاختلاف حيث أمرهم بالاستنباط وبالاجتهاد، مع علمه بأن ذلك يختلف، وجعل للمصيب منهم أجرين وللمخطئ منهم أجرا واحدا، وذلك على ما يحتمل من الاجتهاد ورفع الخطأ فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، كان له أجران، فإن اجتهد فأخطأ كان له أجر".

فهذا النوع من الاختلاف غير ما ذم الله تعالى وذمه رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وكان الشافعي رحمه الله تعالى يجعل هؤلاء المختلفين في معنى المجتمعين حيث أن كل واحد منهم أدى ما كلف من الاجتهاد ولم يخالف كتابا نصاً ولا سنة قائمة بلغته ولا إجماعا ولا قياسا صحيحا عنده. إنما نظر في القياس فأداه الى غير ما أدى إليه صاحبه كما أداه التوجه الى البيت بدلائل النجوم وغيرها إلى ما أدى إليه صاحبه، فكل واحد منهم يكون مؤديا في الظاهر ما كلف ويرفع عنه إثم ما غاب عنه أو أخطأه من التأويل الصحيح أو السنة الصحيحة أو القياس الصحيح، إذ لم يكلف علم الغيب. فمن سلك من فقهاء الأمصار سبيل الصحابة والتابعين فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه، كانوا كالفرقة الواحدة وهي الفرقة الناجية التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل منهم أخذ بوثيقةٍ فيما يرى ما تبع فيه من الكتاب أو السنة أو الإجماع، وبالله التوفيق.

وأما تخليد مَن عداهم من أهل البدع في النار فهو مبني على تكفيرهم؛ فمن لم يكفرهم أجراهم بالخروج من النار بأصل الإيمان مجرى الفساق المسلمين، وحمل الخبر على تعذيبهم بالنار مدة من الزمان دون الأبد، واحتج في ترك القول بتكفيرهم بقوله صلى الله عليه وسلم:" تفترق أمتي " فجعل الجميع مع افتراقهم من أمته. والله أعلم.

باب
القول في مجالسة أهل البدع ومكالمتهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبيا إلا وفي أمته قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته، ألا وإن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا". وقال : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم.

وإنما سُمُّوا قدرية لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، وإن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة.

ومن جالسهم أي أهل البدع والأهواء فهو لا يأمن أن يغمسوه في ضلالاتهم أو يلبسوا عليه بعض ما يعلاف، أو يناله منهم الأذى قبل مفارقتهم.

قال الربيع بن سليمان:سمعت الشافعي يقول: لأن يلقي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى.

باب
ما على الوالي من أمر مراعاة أمر الرعية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما مِن أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح إلا لم يدخل معهم الجنة".

وقال:"ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولدها ، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مؤول عنه، وكلكم مسؤول عن رعيته."

باب
طاعة الولاة ولزوم الجماعة وإنكار المنكر بلسانه
أو كراهيته بقلبه والصبر على ما يصيبه من سلطانه

قال الله تعالى(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني.

وقال: السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وقال:سيكون عليكم أئمة تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر بلسانه فقد برئ ومن كره بقلبه فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، فقيل :يا رسول الله أفلا نقتلهم، وفي رواية نقاتلهم، قال:لا ما صلوا.

وقال:ما من نبي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بها ثم يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

باب
معرفة جمل ما كلفهم المؤمنون أن يعقلوه ويعملوه ويعطوا من أنفسهم وأموالهم وأن يكفوا عنه ما حرم عليهم منه

قال الله جل ثناؤه(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، وقال(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، وقال(وأتموا الحج والعمرة لله)، وعلقه بالاستطاعة في آية أخرى وهي البلوغ والزاد والراحلة وتخلية الطرق.

وأمر بالجهاد وحض عليه حتى يقوم به من فيه الكفاية في غير آية من كتابه وحرم الفواحش والربا والقتل والظلم وقطيعة الرحم في غير موضع.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني زان حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الحدود أحدكم يعني الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والذي نفس محمد بيده لا ينتهب أحدكم نهبة ذات شرف يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن، ولا يغلّ أحدكم حين يغل وهو مؤمن، فإياكم وإياكم.

وإنما أراد والله أعلم أن هذه الأفعال ليست من أفعال من يكون مؤمنا مستكمل الإيمان، وكان الزهري يقول: من الله القول وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. قال الزهري: وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت تعظيما لحرمات الله ولا يعدون الذنوب شركا ولا كفرا.

عن ابن عمر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: شهرنا هذا. قال:أي بلد أعظم حرمة. قالوا بلدنا هذا. قال أتعلمون أي يوم أعظم حرمة. قالوا يومنا هذا. قال فإن الله تعالى حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت –ثلاثا–كل ذلك يجيبونه ألا نعم.

عن تميم الداري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة الدين النصيحة لله، الدين النصيحة ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال أبو أمية الشعباني، قال:أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت:كيف تصنع بهذه الآية.قال أية آية. قلت:قوله(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم). قال:أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكرحتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرا لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائك أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن كأجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله.

وأما ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص من الأحكام وغيرها، فما ليس فيه نص كتاب ولا في أكثره نص سنة، وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة.

وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسا فقد قال الشافعي رحمه الله: هذه درجة من العلم ليس يبلغها العامة، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يحرج غيره ممن تركها إن شاء الله تعالى.

واحتج في ذلك بقول الله عز وجل(وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).وجعل مثال ذلك الجهاد في سبيل الله، والصلاة على الجنازة ودفنها ورد السلام وغير ذلك من فرائض الكفايات.

وإذا عرف العبد ما تعبد به فحق عليه أن يطلب موافقة الأمر فيما تعبد به، ويخلص له النية فيما يعمله من العبادات ويدعه من المنكرات حتى يكون مطيعا للأمر ممتثلا.

قال الله عز وجل(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

باب
القول في إثبات نبوة محمد المصطفى
صلى الله عليه وسلم

وهو أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب. سماه الله محمدا وأحمد صلى الله عليه وسلم وسماه أسماء أخر.

ودلائل النبوة كثيرة والأخبار بظهور المعجزات ناطقة وهي وإن كانت في أحدأعيانها غير متواترة ففي جنسها متواترة متظاهرة من طريق المعنى لأن كل شيء منها مُشاكل لصاحبه في أنه أمر مزعج للخواطر ناقض للعادات، وهذا أحد وجوه التواتر الذي يثبت بها الحجة وينقطع بها العذر.

ومن دلائل نبوته التي استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ما وجدوا في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وان كان كثير منها قد حرفوها عن مواضعها.

ومن دلائله ما حدث بين يدي أيام مولده ومبعثه صلى الله عليه وسلم، من الأمور الغريبة والأكوان العجيبة القادحة في سلطان أمة الكفر والموهنة لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المنوهة بذكره، كأمر الفيل وما أحل الله بحزبه من العقوبة والنكال ومنها خمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبدان والأنفاق، لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الأمور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك، وإنما هو أمر إلهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق، والأمر تبارك رب العالمين.

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه كان رجلا أميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه، ولد في قوم أميين ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار المتقدمين وليس فيهم منجم يتعاطى علم الكوائن، ولا مهندس يعرف التقدير ولا فيلسوف يبصر الطبائع، ولا متكلم يهتدي لرسوم الجدل، ووجوه المحاجة والمناظرة والاستدلال بالحاضر على الغائب، ولم يخرج في سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه ويأخذ منه هذه العلوم، وكل هذا معلوم عند أهل بلده مشهور عند ذوي المعرفة والخبرة بشأنه يعرفه العالم والجاهل والخاص والعام منهم، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية وقد كان ذهب معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحهامن سقيمها إلا القليل. ثم حاجَّ كل فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة المحصلين لم يتهيأ لهم نقض شيء منه، فكان ذلك من أدل شيء على أنه أمر من عند الله عز وجل.

ومن دلائل نبوته وصدقه فيما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى من القرآن العظيم أنه تحدى الخلق بما في القرآن من الإعجاز، ودعاهم الى معارضته والإتيان بسورة مثله، فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه .

واختلف أهل العلم في إعجاز القرآن منهم من قال اعجازه من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم. ومنهم من قال إعجازه في نظمه دون لفظه، فإن العرب قد تكلمت بألفاظه. ومنهم من قال إعجازه في أخباره عن الحوادث وانذاره بالكوائن في مستقبل الزمان ووقوعهاعلى الصفة التي أنبأ عنها.

ومنهم من قال إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الاتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته وع وقوع التحدي وتوفر الدواعي اليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه.

وقد ذهب بعض العلماء الى اثبات الاعجاز في لفظه من جميع هذه الوجوه .

ولا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه لأن الألفاظ مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها لأن البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ حسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالها ومواضعها المصرفة اليها والمستعملة فيها.

قال الشيخ أبو سليمان رحمه الله تعالى:

وبيان ذلك أن العرب قد تعرف لفظ الصدع في لغتها وتتكلم به في خطابها، ثم إنك لا تجده مستعملا لهم في مثل قوله (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين)،ويستعمل اسم الضرب ثم لا تجده لهم مستعملا في مثل قوله(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا). وكذلك لفظ النبذ ثم لا تجد لهم في مثل قوله تعالى(فانبذ اليهم على سواء)، الى ما يجمع هذا الكلام من الوجازة والاختصار وحذف المقتضي وأعمال الضمير والاقتصار على الوحي المفهم، كقوله تعالى(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فإن حقيقته نخرج منه النهار إلا أن موضع البلاغة ها هنا في السلخ أنه إخراج الشيء مما لابسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به، ذلك قياس الليل ومثاله.

وكقوله تعالى(عذاب يوم عظيم) أي يوم لا يعقب للمعذبين غدا ولا ينتج لهم خيرا.

قال وقد استحسن الناس في الايجاز قولهم القتل أنفى للقتل، وبينه وبين قول الله سبحانه وتعالى(ولكم في القصاص حياة) تفاوت في البلاغة والإيجاز وبيان ذلك أن في هذا الكلام كل ما في قولهم القتل أنفى للقتل وزيادة معان ليست فيه، منها الإبانة عن الفداء لذكر القصاص ومنها الإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة، ومنها بعده عن التكلف وسلامته عن تكرار اللفظ الذي فيه على النفس مشقة وعلى السمع مؤونة، وقوله في القصاص حياة أوجز في العبارة فإنه عشرة أحرف،وقول من قال القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفا.

وإذا تأملت هذه المعاني من القرآن وتتبعتها منه كثر وجودك لها، وإنما ذكرنا هذا القدر ليكون مثالا مرشدا الى نظائره منه.

وأما إعجازه من جهة النظم فالمعجز منه نظم جنس الكلام الذي باين به القرآن سائر أصناف الكلام التي تكلمت بها العرب، فإن أجناس كلام العرب التي تكلمت بها خمسة : المنثور للتحاور فيما بين الناس والشعر الموزون والخطب والرسائل والسجع، وكل نوع منها نمطه غير نمط صاحبه، ونظم القرآن مباين لها كلها. وليس في القرآن سجع فهو عيب في الكلام، وإنما فيه فواصل بليغة غير متكلفة تعين على فهم المراد.

وأما إعجازه لما فيه من الاخبار الصادقة عن الأمور الكائنة فوجهه بيِّنٌ، ومن شواهده قوله تعالى(ألم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)، وقوله تعالى(وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين). وقوله تعالى(ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا). وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأؤلئك هم الفاسقون).

وأما الصِّرْفَةُ والتعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله فإنما يعلم ذلك بعدم المعارضة مع توفير الداعي وشدة الحاجة اليه. وذلك لا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليم مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته.

ومن دلائل صدقه أنه كان من عقلاء الرجال عند أهل زمانه.

وقد اعترف كثير من بلغاء المشركين بعجزهم عن معارضة القرآن.

بالإضافة إلى هذا فقد اشتهر ظهور كثير من الأمور الخارقات للعادة على يديه صلى الله عليه وسلم، وأمرها بيِّنٌ مشهورٌ.

باب
القول في كرامات الأولياء

قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)، وقال في قصة سليمان عليه السلام(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) وآصف لم يكن نبيا، وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين، فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون دليلا على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل. وقد حكى نبينا صلى الله عليه وسلم من الكرامات التي ظهرت على جريج الراهب والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب والنفر الذين آووا على غار من بني إسرائيل، فانحطت عليهم الصخرة وغيرهم ما يدل على جواز ذلك، وقد ظهر على أصحابه في زمانه وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه. فقد شوهد خبيب بن عدي يأكل عنبا في غير موسمه وهو مأسور في مكة، وقول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبلَ الجبلَ، وسماع سارية له وهو على مسافة عظيمة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر بن الخطاب.

باب
القول في أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم
وعلى آله ورضي عنهم

قال الله تبارك وتعالى(محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، وذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار).

وقد اشتهر قول الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم " خير الناس قرني"، ومنهم العشرة المبشرون.

باب
القول في أهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وآله وأزواجه

قال الله تعالى(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، وقد نصَّ الله على نساء النبي عليه السلام في أول الآيات(يا نساء النبي لستُنَّ كأحد من النساء إن اتقيتُنَّ ، فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) ، فنساؤه صلى الله عليه وسلم من أهل البيت.

باب
تسمية الخلفاء الذين نبه رسول الله ثلى الله عليه وسلم
على خلافتهم بعده وعلى مدة بقائهم

حدَّث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. قال لي سفينة أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عثمان وخلافة على فنظرنا فوجدناها ثلاثين سنة.

استخلف أبو بكر في شهر ربيع الأول حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة، يوم الاثنين في سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشرة ليال. وقتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام. وقتل عثمان بن عفان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما. وقتل على بن أبي طالب كرم الله وجهه في رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان سنة أربعين. فكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وقيل إلا شهرين.

قال الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي يقول في الخلافة والتفضيل نبدأ بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

باب
تنبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة
أبي بكر الصديق بعده

عن أبي موسى قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس.

عن جبير بن مطعم قال: أَتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم امرأةٌ فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن رجعت فلم أجدك، كأنها تعني الموت. قال فإن لم تجديني فأتي أبا بكر.

عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود.

فهذه وغيرها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلام، رأى أن الخليفة من بعده يكون أبا بكر وإنما لم ينص عليه نصا لا يحتمل غيره، والله أعلم لأنه علم بإعلام الله إياه أن المسلمين يجتمعون عليه، وأن الخلافة تنعقد بإجماعهم على بيعته.

باب
اجتماع المسلمبن على بيعة أبي بكر
وإنفاذهم لإمامته

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنح[1]، فقام عمر فقال والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله عز وجل فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبله وقال: بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله عز وجل الموتتين أبدا.

ثم خرج فقال: أيها الحالف؛على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال(إنك ميت وإنهم ميتون)، وقال(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه...)144 آل عمران ، الآية كلها.

فنشج الناس يبكون.

واجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا منا أمير ومنكم أمير، فذهب اليهم أبو بكروعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني فخشيت أن لا يبلغه أبو بكر فتكلم وأبلغ. وقال في كلامه:

نحن الأمراء وأنتم الوزراء، قال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل أبدا ، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، يعني المهاجرين أوسط العرب دارا وأعزهم أحسابا فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت خيرنا وسيدنا وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس.

فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر:قتله الله.

وقد صح في روايات اجتماع الصحابة على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، ومنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فلا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي أو غيره بخلاف ظاهره، فكان علي أكبر

محلا وأجل قدرا من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حق، أو يظهر للناس خلاف ما في ضميره، ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبي بكر لم يصر إجماع قطّ، والإجماع أحد حجج الشريعة، ولا يجوز تعطيله بالتوهم.

والذي رُوِيَ أن عليا لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة، إنما هو من قول الزهري، فأدرجه بعض الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة رضي الله عنهم، وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلا وجعله من قول الزهري منقطعا من الحديث.

باب
استخلاف أبي بكر عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما

قال عبدالله بن مسعود،أفرس الناس ثلاثة، الملك حين تفرس في يوسف والقوم فيه زاهدون، وابنة شعيب في موسى فقالت لأبيها (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)، وأبو بكر حين تفرس في عمر، فاستخلفه.

وقال ابن عباس لعمر رضي الله عنهما حين طعن: لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحسنت صحبته، ثم فارقك وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، وفارقك وهو عنك راض، وصحبت المسلمين فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

باب استخلاف عثمان بن عفان
رضي الله عنه

عن عمرو بن ميمون، قال:

رأيت عمر بن الخطاب فذكر الحديث في مقتله.قال:

فقالوا أوصِ يا أمير المؤمنين، واستخلف، فقال: ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فيسمي عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كالتعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو دال، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال:

أوصي الخليفة من بعدي، فذكر وصيته بالمهاجرين الأولين، ثم بالأنصار، ثم بأهل الأمصار ثم بالأعراب ثم بأهل الذمة، ثم ذكر دفنه، ثم قال:

فلما فُرِغ من دفنه، ورجعوا، اجتمع هؤلاء الرهط

فقال عبدالرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن.

فقال عبد الرحمن أيكم يبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه، والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، وليحرصن على صلاح الأمة.

قال فسكت الشيخان.

فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم، فقالا نعم. قال فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،والقدم في الإسلام ما قد علمت ، والله عليك لئن أنا أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه. وبايع له علي. وولج أهل الدار فبايعوه.

ورواه المسور بن مخرمة وقال:

فلما اجتمعوا تشهَّد عبدالرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا. قال: وأخذ بيد عثمان وقال أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون، وهذا بعد أن شاورعبدالرحمن الناس ثلاثة أيام لا يخلو رجل ذو رأي فيعدل بعثمان.

باب
استخلاف أبي الحسن علي بن أبي طالب
ابن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه

عن الزهري قال:

لما قتل عثمان برز علي بن أبي طالب للناس ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وهذا لأن سائر من بقي من أصحاب الشورى كانوا قد تركوا حقوقهم عند بيعة عثمان كما مضى ذكره، فلم يبق أحد منهم لم يترك حقه إلا علي، وكان قد وفى بعهد عثمان، وكان أفضل من بقي

من الصحابة، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له البيعة وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى.

عن سالم المرادي أبي العلا، قال: سمعت الحسن يقول:

لما قدم علي البصرة في إثر طلحة وأصحابه قام عبد الله بن الكوا وابن عباد، فقال له يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرك هذا أوصية أوصاك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عهد عهده إليك، أم رأي رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت كلمتها، فقال:

ما أكون أول كاذب عليه. والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم موت فجأة ولا قتل قتلا، ولقد مكث في مرضه كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذن بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر ليصلي بالناس.

ولقد تركني وهو يرى مكاني، ولو عهد إليَّ شيئا لقمت به حتى عرضت في ذلك امرأة من نسائه، فقالت:إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قام مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر أن يصلي بالناس. قال لها: إنكنَّ صواحب يوسف.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المسلمون في أمرهم فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا بكر أمر دينهم فولوه أمر دنياهم،فبايعه المسلمون وبايعته معهم، فكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه في إقامة الحدود، فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها لولده، فأشار بعمر، ولم يأل، فبايعه المسلمون وبايعته معهم، فكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه في إقامة الحدود، فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها لولده، وكره أن ينتخب منا معشر قريش رجلا، فيوليه أمرا لأمة، فلا يكون فيه إساءة لمن بعده إلا لحقت عمر في قبره، فاختار منا ستة أنا فيهم لنختار للأمة رجلا.

فلما اجتمعنا وثب عبدالرحمن فوهب لنا نصيبه منها على أن نعطيه مواثيقنا على أن يختار من الخمسة رجلا، فيوليه أمر الأمة، فأعطيناه مواثيقنا، فأخذ بيد عثمان فبايعه، ولقد عرض في نفسي عند ذلك، فلما نظرت في أمري فإذا عهدي قد سبق بيعتي، فبايعت وسلمت، فكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني.

فلما قتل عثمان، نظرت في أمري، فإذا الربقة التي كانت لأبي بكر وعمر في عنقي قد انحلت، وإذا العهد لعثمان قد وفيت به، وإذا أنا برجل من المسلمين ليس لأحد عندي دعوى ولا طلب فوثب فيها مَنْ ليس مثلي–يعني معاوية– ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسايقتي، وكنت أحقَّ بها منه.

قالا: صدقت. فأخبِرْنا عن قتالك هذين الرجلين–يعنيان طلحة والزبير– صاحباك في الهجرة وصاحباك في بيعة الرضوان، وصاحباك في المشورة.

قال:بايعاني بالمدينة وخالفاني بالبصرة، ولو أن رجلا ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه، ولو أن رجلا ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه.

قال الإمام البيهقي:

وكان السبب في قتال طلحة والزبير علياً، أن بعض الناس صور لهما أن عليا كان راضيا بقتل عثمان، فذهبا الى عائشة أم المؤمنين وحملاها على الخروج في طلب دم عثمان والإصلاح بين الناس بتخلية على بينهم وبين مَن قدم المدينة في قتل عثمان، فجرى الشيطان بين الفريقين، حتى اقتتلوا ثم ندموا على ما فعلوا وتاب أكثرهم.

فكانت عائشة تقول: وددت أنّي كنت ثكلت عشرة مثل ولد الحرث بن هشام وأني لم أسر مسيري الذي سِرْتُ.

وكذا تاب طلحة والزبير عن قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وأما خروج من خرج على أمير المؤمنين رضي الله عنه مع أهل الشام في طلب دم عثمان ثم منازعته إياه في الأمارة، فإنه غير مصيب فيما فعل.

عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

عن أبي بكرة قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي معه إلى جانبه، وهو يلتفت الى الناس مرَّةً وإليه مرَّةً، ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين.

وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان وقال في خطبته:

أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية ما هو حق لامرئ كان أحق به مني، بل حق لي ثم تركته لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم، بل وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قال الشيخ الإمام أبو بكر البيهقي:

هذا الذي أودعناه هذا الكتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة وأقوالهم، وقد أفردنا كل باب منها بكتاب يشتمل على شرحه منورا بدلائله وحججه

قلت أنا الفقير إلى الله تعالى سعيد فودة:
انتهيت من هذا المختصر لكتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

الذي يحوي لبَّ الاعتقاد في يوم الخميس 1994/1/27م
وأدعو الله تعالى أن يفيد به المسلمين
وليس لنا إلى غير الله تعالى حاجة ولا مذهب
والحمد لله ربِّ العالمين

[1] السُّنح: منازل بني الحارث بن الخزرج.